مجلة الجامعة الأسمرية: العلوم الشرعية والإنسانية
المجلد (32) العدد الثاني (ديسمبر 2019)

منهج النسفي في النحو من خلال تفسيره "دراسة وصفية تحليلية"

أسماء محمود المزيك* وعدنان علي الخضر

قسم علوم القرآن والحديث، كلية الشريعة، جامعة دمشق، سوريا.

*Email: mzaiekasmaa@gmail.com

الملخص

هدف البحث إلى تجلية المنهج النحوي للإمام النسفي من خلال تفسيره "مدارك التنزيل وحقائق التأويل"، وتسليط الضوء على دور الوجوه الإعرابية في تفسير الآيات القرآنية، واستخدم لتحقيقه أهدافه عدة مناهج هي: الاستقرائي والوصفي والتحليلي، ومن نتائجه أن الإمام النسفي كان يهتم بالمعنى عند إعرابه للقرآن الكريم، ويرجّح بين الوجوه الإعرابية التي يحتملها لفظ الآية بحسب المعنى الذي يفيده، وكلما كان اللفظ أكثر توافقاً مع النظم القرآني وأغراضه كان أَوْلى عنده، كما بين البحث أن الإمام النسفي ينتمي إلى المذهب البصري في التأصيل والتطبيق، وأن عامة ضلال أهل البدع جاء من ضعفهم باللغة العربية.

الكلمات المفتاحية: تفسير، القرآن، المنهج، النحو، النسفي.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مُنزل القرآن بأفصحِ بيان، وأعدلِ لسان، فأعيا الفصحاءَ والبلغاءَ عن إدراك مبانيه وأحكامه وحِكَمه، فضلاً عن الإتيان بمثلها، فكانت آياته معجزة على مرِّ الأزمان.. والصلاة والسلام التامان الأكملان على أشرف الأنبياء

ISSN: 2706-9524 (Print) **ISSN**: 2706-9532 (Online)

والمرسلين وأبلغهم حجة وبرهاناً سيدنا محمد الصادق الأمين، وعلى آله وأصحابه الغرِّ الميامين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين..

وبعد: فإن القرآن الكريم كتاب هداية ورشاد، وهو يوصل المستنير بضيائه لخيري الدنيا والآخرة معاً، إن اتّبعه على علم، ولا يكون هذا إلا بإتقان بعض العلوم الضرورية، والتي تسمى علوم الآلة، ومن أهمها علم النحو؛ أي: قواعد اللغة العربية التي نزل القرآن العظيم موافقاً لها في أبنيته وتراكيبه وضبطه، قال تعالى في معرض الامتنان: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: 3] مُبيّناً أحد أهم مقاصد اختيار العربية لتكون لغة القرآن وهو التعقل والتدبر للوصول إلى مراد الله عزَّ وجلَّ، وفي سبيل هذا اتفق العلماء على اشتراط العلم بالعربية على كل من أراد أن يتجه نحو القرآن الكريم بالدراسة والاستنباط. ولهذا اخترت أن أسلط الضوء على دور النحو في التفسير من خلال دراسة المنهج النحوي لأحد المفسرين، وكانت نصيحة أهل العلم باختيار تفسير (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) لأبي البركات عبدُ اللهِ بن أحمدَ النَّسَفِيّ ت 710هـ، لِمَا لهذا التفسير من شهرة بين طلاب العلم، فهو تفسير متوسط في الحجم والمضمون، بعيد عن الشطط والغلو. وركزت في هذا البحث على بعض الجوانب التي تُجلِّي أهمية النحو في تكوين شخصية المفسِّر القادر على فهم النصوص، والتفريق بين الغثِّ والسمين من الآراء.

ولبيان الصورة الكلية عن هذا البحث لابدّ من ذِكْر مشكلة البحث، وأهدافه، وأهميته، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، والمنهج المتَّبَع، وخطة البحث.

مشكلة الدراسة

وتتمثل في الأسئلة الآتية:

- ما المصادر التي استقى منها النسفي مادته النحوية؟
- ما منهجه وأسلوبه في عرض المادة النحوية؟
- ما أنواع الشواهد التي احتج بها لإثبات ما أقره من وجوه نحوية؟

- ما المذهب النحوي الذي تبناه؟
- ما نوع المصطلحات النحوية التي استعملها في تفسيره؟

أهداف الدراسة

يهدف البحث إلى ما يأتي:

- الدلالة على أهم الكتب التي تهتم بإعراب القرآن وتبسط القول في تبيين الوجوه التي تحتملها الآيات، وهذه الكتب هي التي اتخذها النسفي مصادر له حتى زخر بهذه الثروة النحوية.
- الدلالة على أحد وجوه إعجاز القرآن من خلال ذكر الشواهد القرآنية التي تشهد بأن القرآن كله جارٍ على قواعد العربية المتسقة فالقرآن يُصدِّق بعضُه بعضاً.
- الإشارة إلى التكامل فيما بين نصوص الشريعة وذلك عند الاستشهاد بالحديث النبوي على الوجوه النحوية التي جرت عليها الآيات.
- تعريف القارئ ببعض المصطلحات النحوية التي تواجهه عند القراءة في كتب التفسير ومعرفة مقصد المفسرين منها، وذلك من خلال الكلام عن مصطلحات النسفي النحوية.

أهمية الدراسة

تنبع أهمية هذا البحث من أهمية علم النحو في التفسير، فهو الأداة البارزة في فهم النص القرآني، والوسيلة الموضحة لمدلولاته، لاسيما بعد أن اختلطت الألسنة، إذ كان الأوائل لا يحتاجون إلى كثير من هذه العلوم، فالقرآن نزل بلغتهم، فاليوم لا سبيل لنا إلى فهم تراكيب القرآن ومدلولاته إلا بالرجوع إلى هذا العلم، وما استند عليه من تفاسير.

الدراسات السابقة ذات الصلة

لم يفرد أحد من الباحثين المنهج النحوي الذي اتبعه النسفي في تفسيره بدراسة مستقلة، وإن كان هذا الموضوع ليس بجديد على الوسط العلمي؛ فقد ظهرت دراسات عديدة حول علم النحو ومناهج المفسرين النحوية في تفاسيرهم؛ ولا يفوتني أن أشير إلى الدراسات التي أبرزت هذا الجانب من تفسير النسفي وسلطت الضوء عليه وإن لم تقتصر عليه:

القضايا النحوية والصرفية في تفسير النسفي "عرض ودراسة–رسالة ماجستير"، عبد المتعال محجوب محمد علي. لم أتمكن من الاطلاع عليها، والظاهر من العنوان أنها اهتمت بمسائل وقضايا تطبيقية معينة، في حين كان حديثي هنا عن المنهج والأسلوب في دراسة هذا القضايا.

النسفي ومنهجه في التفسير "رسالة ماجستير"، أميمة بدر الدين. خصصتُ الفصل الثالث من رسالتها لدراسة المنهج اللغوي والنحوي عند الإمام النسفي، ولم يتجاوز هذا الفصل خمسة وثلاثين ورقة تطرقت فيها لمواضيع شتى باختصار لا يمنع من متابعة البحث، فقد قَسَّمَتْه إلى قسمين؛ الأول: الجواب اللغوية في تفسيره (وتضمن مطالب منها: التضمين، وما ورد في القرآن من غير لغة العرب، وترجمة القرآن، والرسم القرآني... وغيرها مما لا يدخل في بحثي)، والثاني: النحو والصرف (تحدثتْ فيه عن الصرف ومنهجه في الاحتجاج على لغة الآية ومعناها وهذا مما لم أتعرضَ لدراسته هنا، وقررتْ اتباع النسفي للمذهب البصري، وتكلمت عن استشهاده بالشعر فقط دون أن تفصل في غيره من أنواع الشواهد، وفصلّت فيما يتعلق بالإعراب، وهذه المسائل هي ما يتقاطع مع بحثي، وقد استفدتُ مما ذَكَرَتْه في هذه المواضع، ومن التقسيمات المنهجية التي ذكرتْها).

المنهجية: إجراءات الدراسة والأدوات

- اتبعت المنهج الاستقرائي في تتبع المادة النحوية في تفسير النسفي، وهذا الاستقراء لم يكن تاماً بل تناول مواضع متعددة من أول التفسير إلى نهايته، وأظن أن المنهج المستخلص يعبر عن كامل التفسير.
- كما اتبعت المنهج الوصفي في عرض الأفكار المستخرجة من كتاب المصنِّف، مع التقيد بحرفيتها تارة، واختصارها تارة أخرى.
- واتبعت أيضاً المنهج التحليلي لاستخلاص المنهج الذي اتبعه المؤلِّف في عمله.

خطة البحث

قمت بإعداد البحث وفق خطة تضمنت مقدمة وتمهيداً وخمسة مطالب وخاتمة، وفق ما يلي:

- مقدمة: تضمنت مشكلة البحث، وأهدافه، وأهميته، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطة البحث.
- تمهيد: تضمن التعريف بمفردات البحث.
- المطلب الأول: مصادر النسفي النحوية.
- المطلب الثاني: سمات منهج النسفي في عرض المادة النحوية.
- المطلب الثالث: شواهد النسفي النحوية.
- المطلب الرابع: مذهب النسفي النحوي.
- المطلب الخامس: مصطلحات النسفي النحوية.
- خاتمة: تتضمن أهم نتائج البحث.

۞ ۞ ۞

تمهيد

لابد قبل البدء بالبحث أن نقف عند بعض المقدمات الأساسية عن الإمام النسفي، وأهم ما يتعلق بتفسيره، وشرح مفهوم علم النحو مما يوضّح علاقته بفهم النصوص عامة والقرآن الكريم بشكل خاص، ثم التعريف بمعنى المنهج.

أولاً/ التعريف بالإمام النسفي وتفسيره:

أ) التعريف بالإمام النسفي: هو عبدُ اللهِ بن أحمدَ بن محمود، يُكنَّى بأبي البركات، ويُلقّب بالنَّسَفِيّ نسبةً إلى نَسَف[1]، حنفي المذهب، ماتريدي العقيدة، ولم تُشِر المصادر إلى مكان ولادته ولا تاريخها، إلا أنه يُحتَمل أن يكون قد وُلِدَ في نَسَف؛ لنسبته إليها. ومن المرجَّح أن يكون قد وُلد قبل سنة 642 هـ، بزمنٍ جَعَلَه أهلاً لتحمل الرواية عن شيخه شمس الأئمة الكردري الذي توفي في هذا العام[2].

ترعرع الإمام النسفي من صغره على طلب العلم الشرعي بمختلف فروعه ومجالاته، وتتلمذ على عدد من كبار أئمة عصره من الحنفية، مما أدى إلى تكوين ثروة علمية، أعطته مكانةً لا يدانيها أحدٌ في زمانه. وقد وُصِف بـ"الإمام العلّامة"، "شيخ الإسلام"، "حافظ الدين"، برع في الفقه والأصول واللغة والتفسير والعقيدة، وانتهت إليه رئاسة الحنفية في زمانه علماً وعملاً. وعَدَّه عبد الحي اللَّكْنَوِيُّ من الطبقة الخامسة في المذهب؛ أي: من طبقة المقلِّدين القادرين على التمييز بين الأقوى والقوي والضعيف وظاهر الرواية والرواية النادرة. كان من العلماء العاملين، وُصِف بالزهد والابتعاد عن الرياسة والزعامة فكان لا يأتي أبواب الملوك والأمراء، بعيداً كل البعد عن المناصب الدنيوية، حتى شهد له بالفضل أتباع مذهبه ومخالفيه[3].

---

[1] نَسَف: بفتح أوله وثانيه ثم فاء، واسمها بالفارسية (نخشب)، وهي على مدرج بخارى وبلخ، بينها وبين جيحون مفازة لا جبل فيها من جانبها الغربي، ولها نهر واحد يجري في وسط المدينة، وليس لها كثير قرىً ونواحٍ. ينظر: معجم البلدان 285/5، الروض المعطار 579/1. وهي اليوم تسمى (قرشي) وتتبع لجمهورية أوزبكستان الإسلامية.

[2] ينظر: الجواهر المُضيَّة 294/2، الدرر الكامنة 247/2، تاج التراجم: 174، طبقات المفسرين للأدنه وي 263 (ولكلٍّ من السيوطي والداوودي كتاب باسم: طبقات المفسرين، وكلاهما لم يترجم للنسفي)، الفوائد البهية: 101-102. وبالاعتماد على هذه المعلومات قَدَّرتْ الموسوعة العربية الميسرة أن تاريخ ولادة النسفي هو 630 هـ. ينظر: 1833/2.

[3] ينظر: الجواهر المُضيّة 294/2-295، الدرر الكامنة 247/2، المنهل الصافي 73/7، الفوائد البهية: 101-102.

ورغم مكانة الإمام النسفي العلمية التي جعلته محط أنظار طلبة العلم والعلماء في زمانه، إلا أنّ كتب التراجم قد أغفلت ذكر شيوخه وتلامذته، واقتصرت على كونه قد تفقَّه على شمس الأئمة الكَرْدَرِيّ ت 642 هـ[1]، وبدر الدين خُواهَر زَاده ت 651 هـ[2]، وحميد الملة والدين الضرير ت 666 هـ[3]، على أن حسام الدين الصِّغْنَاقِيّ ت 711 هـ[4] ممن تَتَلْمَذَ على يديه[5].

ومن مؤلفاته التي دلّت على تبحره في العلوم: كتابه في التفسير الذي سمّاه: "مدارك التنزيل وحقائق التأويل" في تفسير القرآن، وهو ما أنا بصدد دراسة أحد جوانبه التي قام عليها. وله في العقيدة: "عمدة عقيدة أهل السنة والجماعة" أو "عمدة العقائد"، وشرحه في "الاعتماد في الاعتقاد"، وله "شرح بدء الأمالي في العقائد". وفي الفقه وأصوله: له: "منار الأنوار" في أصول الفقه، وعليه شرحان للمؤلِّف: أحدهما "كشف الأسرار"، والآخر ألطف منه سماه بـ "المنوّر". ومن كتبه "الوافي" في فروع الفقه الحنفي، وشرحه بشرح أسماه "الكافي"، ولَخَّص "الوافي" بكتاب أسماه "كنز الدقائق". وله كتاب "فضائل الأعمال" وهو رسالة في فضل صلوات ليالي رمضان[6].

---

[1] واسمه: "محمد بن عبد الستَّار بن محمد، العِمَادِيّ، الكَرْدَرِيّ: نسبة إلى الجدِّ المنتسب إليه، البَرَانَقِينِيّ: من أهل بَرَانَقين، قصبةٌ من قصبات كَرْدَر من أعمال جُرْجانِيَّة خوارزم". الجواهر المضية 82/2-83، وينظر: تاج التراجم: 267.

[2] واسمه: محمد بن محمود بن عبد الكريم الكَرْدَرِي، المعروف بخُواهَر زَاده، وهو ابن أخت شمس الأئمة محمد بن عبد الستار الكَرْدَرِيّ، وقد تفقَّه على يديه. ينظر: الجواهر المضية 131/2، شذرات الذهب 442/7.

[3] واسمه: عَلِيّ بن محمّد بن عَلِيّ الرَّامَشيّ البخاريّ، نسبة إلى رامش من بُخَارى، له كتاب الفوائد في شرح الهداية. ينظر: الجواهر المضية 373/1، تاج التراجم: 215.

[4] واسمه: الحسين بن علي بن الحجاج بن علي، الصِّغناقي بالصاد المهملة وفي بعض المصادر بالسين؛ نسبة إلى صَغناق أو سغناق بلدة في تركستان. وهو صاحب شرح الهداية. ينظر: تاج التراجم 160، سلم الوصول إلى طبقات الفحول 23/5: 91.

[5] ينظر: الجواهر المضية 294/2-295: 367، الدرر الكامنة 247/2، تاج التراجم: 175.

[6] ينظر: الجواهر المضية 294/2، تاج التراجم: 175، المنهل الصافي 72/7-73، مفتاح السعادة 167/2-168، كشف الظنون 1168/2، 1274/2، 1516/2، 1640/2، 1823/2، هدية العارفين 464/1، الأعلام 67/4.

اختلف كُتَّاب التراجم في تحديد السنة التي توفي فيها الإمام النسفي، فقيل: إنه توفي سنة 701هـ في إيذج[1]. وقيل: إنه توفي سنة 710هـ[2]. أما القول الأول فيرده الروايات التي صرَّحت بأنه قد دخل بغداد سنة 710هـ[3]؛ وعلى هذا فيكون الراجح أن وفاته كانت في سنة 710هـ أو السنة التي بعدها 711هـ.

ب) التعريف بتفسير النسفي:

سبب تأليف الكتاب ومنهجه فيه: ذكر النسفي في مقدمة تفسيره السبب الباعث له على تأليفه، مشيراً إلى منهجه فيه فقال: "قد سألني مَن تتعين إجابته كتاباً وسطاً في التأويلات، جامعاً لوجوه الإعراب والقراءات، متضمناً لدقائق علمي البديع والإشارات، حالياً بأقاويل أهل السنة والجماعة، خالياً عن أباطيل أهل البدع والضلالة، ليس بالطويل الممل، ولا بالقصير المخلّ"[4]. فأهم ما يُميِّز هذا هذا التفسير أنه كتاب متوسط في حجمه لم يُسهب فيه بالاهتمام بجانب على حساب آخر، فلم ينطبع بطابع التفسير البلاغي أو اللغوي أو الفقهي... وهو وإن عُدَّ من التفاسير بالرأي فهذا بالنظر للغالب عليه، فالنسفي لم يَغفل عن أهمية المأثور واهتمَّ بما نُقِلَ لنا من السنة المطهرة وأقوال الصحابة والتابعين، مما لا يستغني عنه المفسِّر في بيان أسباب النزول أو في شرح بعض المعاني أو عند تفصيل مجمل الأحكام. وكان نَقْلُه لِمَا جاء من الأحاديث في فضائل السور قليلاً مقارنة بغيره، ورغم ذلك وقع في بعض الضعيف المتروك. وكان أيضاً مُقِلّاً من الإسرائيليات، مبيّناً لمخالفتها لقطيعات الشريعة الإسلامية في بعض المواضع، لكنه في الكثير الغالب لم يُعقِّب عليها ولا بكلمة واحدة ولم يُنبِّه على بطلانها. وأما في القراءات فكان يذكر منها المتواترة وغيرها، ويوجهها ويُرجِّح بينها. اهتمَّ بالبلاغة مُقتفياً في ذلك لما في الكشاف. وكان يتعرّض لتفصيل الآراء في بعض المسائل الفقهية، مع الترجيح أحياناً، ويظهر هنا ترجيحه لمذهبه

[1] ينظر: الدرر الكامنة 247/2، المنهل الصافي 73/7، التفسير والمفسرون 260/1.

[2] ينظر: طبقات المفسرين للأدنه وي 263، هدية العارفين 464/1، الأعلام 67/4.

[3] ينظر: تاج التراجم: 175، مفتاح السعادة 168/2.

[4] تفسير النسفي 24/1.

الحنفي. وفي العقيدة كان ناصراً لمذهب أهل السنة والجماعة، يُعرِّض ببعض آراء من خالفهم من الفِرق الضالة كالمعتزلة والكَرَّامية والجَهَمِية والمُرجِئة وغيرهم، مع الرد عليهم[1].

مصادر الكتاب: حشد الإمام النسفي ما استفاده من كتب السابقين في شتى أبواب العلوم التي برع فيها، فخرج تفسيره متزناً رصيناً، والقارئ في تفسيره يجد الإشارة لهذه الكتب واضحة فمنها: في التفاسير: التأويلات لأبي منصور الماتريدي، وشرح التأويلات لعلاء الدين السمرقندي، والكشاف للزمخشري، أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي. ومن كتب الحديث: صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وصحاح المصابيح للبغوي. وفي القراءات: مصحف عبد الله بن مسعود، الإشارة والبشارة لابن العراقي. وفي اللغة العربية: الكتاب لسيبويه، الصحاح للجوهري، التبيان في إعراب القرآن للعكبري. وفي الفقه: المبسوط للبزدوي، والكافي له (للنسفي).

ما كُتِبَ عليه: اختصره وزاد فيه الشيخ زين الدين أبو محمد عبد الرحمن بن أبي بكر المعروف بابن العيني الدمشقي الحنفي ت 893هـ[2]، وهو مخطوط.

ووضع عليه الإمام الحافظ الشيخ محمد عبد الحق الهندي المكي الحنفي ت 1333هـ حاشية سمّاها: "الإكليل على مدارك التنزيل"[3]، وهو مطبوع.

ثانياً/ التعريف بعلم النحو:

أ) النحو لغة واصطلاحاً:

النَّحو لغة: له معانٍ عدة، منها: 1-القصد، يقال: نَحَوْتُ نَحْوَ فلان؛ أي: قصدتُ قصدَه. 2-الصرف، يقال: نحوتُ بصري إليه؛ أي: صرفتُ. 3-الجهة أو الناحية، يقال: نحوتُ نحو البيت؛ أي: جهته. 4-المِثْل، تقول: زيدٌ نحو

[1] ينظر: التفسير والمفسرون 1/216-220، رسالة منهج الإمام النسفي في القراءات 28-29.

[2] ينظر: كشف الظنون 2/1640، الأعلام 3/300.

[3] ينظر: معجم المطبوعات العربية والمعربة 2/1673، الأعلام 6/186. وله طبعة قديمة في مطبعة إكليل المطابع- هرائج- الهند، 1333هـ-1916م. ثم حققه محيي الدين البيرقدار في دار الكتب العلمية-بيروت، ط1، 1433هـ/2012م.

عمرو؛ أي: مِثلُه. 5-المِقْدار، تقول: عندي نحوَ ألفٍ؛ أي: مقدار ألف. 6- القِسم أو البعض، تقول: هذا على خمسة أنحاء؛ أي: أقسام[1].

وقد نبّه جَمْعٌ من الأئمة على أن (القصد) هو أوفق المعاني اللغوية بالمعنى الاصطلاحي، فقال ابن فارس: "ولذلك سُمِّيَ نَحْوَ الكلام، لأنه يقصد أصول الكلام فيتكلَّم على حَسَب ما العرب تتكلَّم به"[2]. وقال ابن سيده: "النَّحْوُ: القَصْدُ... ونَحْوُ العربيةِ منه، إنما (هو انتحاءُ سَمْتِ كلامِ العربِ في تصرُّفِه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة والنسب وغير ذلك)"[3]. وقال الفاكهي: "والظاهر أنه اصطلاحاً منقول من النحو بمعنى القَصْد، وإطلاقُه عليه من باب إطلاق المصدر على اسم المفعول، فالنحوُ إذاً بمعنى المَنْحُوّ؛ أي: المقصود"[4].

النحو اصطلاحاً: قبل أن أعرِّف علم النحو لابدّ من التنبيه على ما يدخل في دائرة هذا المصطلح وما يخرج عنه، فالمتعارف عليه قديماً شمولُ علم النَّحْوِ لعلم الصَّرْف وهذا هو الأصل، ومَن كان من المتقدمين يعطفُ الصرفَ على النَّحْوِ فهو من قَبيل عطفِ الخاصّ على العامّ تَنْوِيْهاً به، ثم جَرى عُرْفُ الناس على جَعْلِ علم الصرف قسماً برأسه غيرَ داخلٍ في علم النحو[5].

فالنحو بمعناه الخاص (المتعارف عليه اليوم): علمٌ بأصولٍ يُعْرَفُ بها **أحوالُ أواخرِ الكَلِمِ**، إعراباً وبناءً[6]. **وهذا المعنى هو المقصود في هذا البحث.**

ب) استمداده وواضعه: هو مستمدٌّ ومُستنبَطٌ من كلام العرب، فالإعرابُ كان

---

[1] ينظر: تهذيب اللغة: (نحا) 163/5، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: (نحا) 2503/6، القاموس المحيط: (نحو) 1337، لسان العرب: (نحا) 309/15-313، تاج العروس: (نحو) 41/40-45.

[2] مقاييس اللغة: (نحو) 403/5.

[3] المحكم والمحيط الأعظم: (نحو) 20/4. وهو ينقل ما ذكره ابن جني من تعريف النحو بلفظه. راجع: الخصائص 35/1.

[4] شرح كتاب الحدود في النحو 52.

[5] ينظر: شرح كتاب الحدود في النحو: 54.

[6] ينظر: الفلاح شرح المراح 5، شرح التصريح 11/1-12.

سجيةً فيهم من غير تَطَبُّعٍ أو تكلُّفٍ وذلك بحكم فطرتهم السليمة على الفصاحة؛ فلما انتشر الإسلام واختلط العرب بالعجم وظهر اللحن في اللغة أمرَ عَلِيّ بن أبي طالب ﷺ أبا الأسود الدُّؤلي بوضع قواعد تحفظ اللغة وتقيم لسانها، ثم خَلَف أبا الأسودِ خمسةُ نفرٍ منهم: عَنْبَسة الفيل وميمون الأقرن، ثم خَلَفهم عبد الله بن إسحاق الحضرمي، وعيسى بن عمر الثقفي، وأبو عمرو بن العلاء، ثم بعدهم الخليل الفراهيدي، ثم سيبويه والكسائي، ثم صار الناس فريقين بصري وكوفي[1].

ج) موضوعه: الكلمات العربية، لأنه يبحث في حركاتها الإعرابية والبنائية[2]. والإعراب: "الإبانة على المعاني باختلاف أواخر الكلم، لتعاقب العوامل في أولها"[3]. والبناء: "لزوم آخر الكلمة ضرباً واحداً من السكون أو الحركة، لا لشيءٍ أَحدَثَ ذلك من العوامل"[4].

د) فائدته: معرفة صواب الكَلِم من خطئه ليُحترَز به عن الخطأ في اللسان. ويحتاجه العرب والعجم؛ أما العرب فيردُّ مَن شَذَّ منهم إلى الصواب، وأما العجم فيَلحقون به بأهل اللغة العربية في الفصاحة، فينطقون بها وإن لم يكونوا من أهلها[5].

هـ) غايته: الاستعانة به على فهم كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ الموصلَين إلى خيري الدنيا والآخرة[6]، وهذا يؤكد أهمية علم النحو كآلة هامة في فهم القرآن وتفسيره.

ثالثاً/ معنى المنهج:

أ) المنهج لغة: جاء في المعاجم اللغوية أن المَنْهَج والمِنْهَاج والنَّهْج بمعنى

---

[1] ينظر: شرح التصريح 5/1، شرح كتاب الحدود في النحو 55، حاشية الخضري على شرح ابن عقيل 11/1.

[2] ينظر: شرح كتاب الحدود في النحو: 54.

[3] شرح المفصل لابن يعيش 196/1.

[4] الخصائص 38/1.

[5] ينظر: الخصائص 35/1، المحكم والمحيط الأعظم: (نحو) 20/4، شرح التصريح 12/1.

[6] ينظر: شرح التصريح 12/1، شرح كتاب الحدود في النحو: 55.

واحد، وهو: الطريق البَيِّن الواضح[1].

ب) المنهج اصطلاحاً: اختلفت المصادر في تعريف المنهج، ولكنها اتفقت على ربطه بالمعنى اللغوي، ومن هذه التعاريف:

- "النَّهْج: هو في الاستعمال: الوجه الواضح الذي جرى عليه الاستعمال"[2].
- المنهج: "الطريق المؤدّي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، بواسطة طائفة من القواعد العامة تُهيمِنُ على سير العقل وتُحَدِّدُ عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة"[3].
- "المنهج العلمي: أسلوب للتفكير والعمل يعتمده الباحث لتنظيم أفكاره وتحليلها وعرضها، وبالتالي الوصول إلى نتائج وحقائق معقولة حول الظاهرة موضوع الدراسة"[4].

ونلاحظ أنها تدور حول مفهوم واحد للمنهج، وهو: مجموعة الطرق والأساليب التي يتبعها الباحث للوصول إلى هدف محدد، وفي هذا البحث سأدرس المبادئ والأصول والتطبيقات التي توضّح لنا المنهج الذي تبنّاه الإمام النسفي في معالجة المسائل النحوية المختلفة من خلال تفسيره.

معالم المنهج النحوي عند النسفي في تفسيره

المطلب الأول: مصادره النحوية

إن المتأمّل في تفسير الإمام النسفي يدرك أنه لم يصلْ إلى هذه المرتبة إلا بعد أن طَالَع كُتب مَن تَقَدَّمَه في علوم شتى، فاستفاد من جهودهم وبنى عليها

[1] ينظر: تهذيب اللغة: (نهج) 41/6، لسان العرب: (نهج) 383/2، القاموس المحيط: (نهج) 208، تاج العروس: (نهج) 251/6.

[2] الكليات: 913.

[3] مناهج البحث العلمي لعبد الرحمن بدوي: 5.

[4] البحث العلمي للدكتور ربحي عليان: 39.

آرائه إما صراحةً أو ضمناً، ولكنني هنا سأكتفي بذكر مَن وردت الإشارة إليهم في تفسيره عند حديثه عن الجوانب النحوية للآيات، دون من لم تظهر دلالة بيّنة على أنه نقل منهم.

أولاً/ من كتب التفسير:

وسأقتصر على أبرزها وهو تفسير الكشاف؛ فالنسفي مقلٌّ جداً في الإشارة إلى كتب التفسير التي رجع إليها، فهو مثلاً لم يُشِرْ إلى تفسير البيضاوي في تفسيره أبداً، رغم اطلاعه عليه حتماً لتشابه عبارته معه أحياناً[1].

الكشاف للزمخشري ت 538هـ [2]: ويعدُّ المصدر الأول للنسفي، فهو كما قيل: "مختصر من الكشاف... وأغلب ما فيه من إعراب منقول من الكشاف"[3]، وقد صرّح بذكر هذا المصدر في عشر مواضع ونيّفٍ تقريباً[4]، وأغفل الإشارة إليه في باقي التفسير[5]. لكن النسفي لم يكن يوافق ما ينقلُه دائماً، بل يخالف ما يرى ضعفَه ويرجِّح غيرَه عليه، من ذلك ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ

---

[1] ينظر على سبيل المثال: ما ذكره النسفي في سورة النبأ عند قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾، "﴿عَمَّ﴾ أصله: (عن ما)، وقُرِئ بها، ثم أُدغِمتْ النون في الميم فصار: (عمَّا) وقُرِئ بها؛ ثم حُذِفتْ الألف تخفيفاً لكثرة الاستعمال في الاستفهام... وهذا استفهام تفخيم للمُسْتَفْهَم عنه؛ لأنه تعالى لا تخفى عليه خافية" 589/3. وينظر: تفسير البيضاوي 278/5، النسفي ومنهجه في التفسير 45. حيث نجد تشابهاً واضحاً بينهما، وإن كان أصل المعنى موجوداً عند الزمخشري، ولكن النسفي هنا استفاد من عبارة البيضاوي. ينظر: الكشاف 293/6-294.

[2] هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي، أبو القاسم الزمخشري، نسبة إلى زمخشر من أعمال خوارزم، جاور في مكة زمناً فلُقِّبَ جار الله، إمام في التفسير واللغة والنحو والأدب، كان معتزلياً مجاهراً بذلك، حنفي المذهب. من كتبه: الكشاف، أساس البلاغة، المُفَصَّل. ينظر: معجم الأدباء 2687/6-2689، بغية الوعاة 279/2، طبقات المفسرين للأدنه وي: 172.

[3] النحو وكتب التفسير: 1307/2-1308.

[4] ينظر: تفسير النسفي 232/1، 233/1، 347/1، 18/2، 189/2، 257/2، 269/2، 558/2، 592/2، 629/2، 722/2، 232/3.

[5] ومن موافقات النسفي للزمخشري دون أن يشير لذلك اتباعه له في إعراب ﴿أَسْبَاطًا﴾ تمييز، في قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ [الأعراف:160]، رغم ترجيح كثير من المفسرين والنحويين أنها بدل من ﴿اثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾؛ لأن تمييزَ العددِ المركَّبِ من أَحَدَ عَشَر إلى تسعة عَشَر مفردٌ منصوبٌ، و﴿أَسْبَاطًا﴾ جمع فلم يصححوا اعتباره تمييزاً. ينظر: الكشاف 520/2-521، تفسير النسفي 611/1، البحر المحيط 405/4. وينظر: شرح المفصل لابن يعيش 8/4-9، شرح المفصل لابن الحاجب 586/1-589.

أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ﴾ [النمل: 8]: "﴿أَنْ بُورِكَ﴾ (أَنْ) مخفّفة من الثقيلة، وتقديره: نودي موسى بأنه بُورِكَ، والضمير ضمير الشأن. وجاز ذلك من غير عوض وإن منعه الزمخشري؛ لأن قوله: ﴿بُورِكَ﴾ دعاء، والدعاء يخالف غيره في أحكام كثيرة..."[1]، ومنه ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: 36]: "و﴿عَنْهُ﴾ في موضع الرفع بالفاعلية؛ أي: كلُّ واحدٍ منها كان مسؤولاً عنه. فمسؤول مسندٌ إلى الجار والمجرور، كالمغضوب في: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: 7] ... كذا في الكشاف. وفيه نظرٌ لبعضهم، لأن الجار والمجرور إنما يقومان مقام الفاعل إذا تأخرا عن الفعل، فأما إذا تقدّما فلا"[2]. وبهذا يتبين لنا أن النسفي لم يكن مجرد ناقلٍ بل ممحِّصاً للآراء وناقداً لها.

ثانياً/ من كتب النحو:

لقد تتبعتُ الإمام النسفي في كثير من المواضع فلم أجده يُصرّح بكتاب نحوي سوى كتاب سيبويه، وإن كان تفسيره شاهداً باطِّلاعه على كُتبٍ من جاء بعده من النحويين.

الكتاب لسيبويه ت 180هـ[3]: اعتمد النسفي على ما قدَّمَه سيبويه من جهود نحوية بشكل كبير، فقد صرّح باسمه قرابة الثلاثين مرة[4]، وذكر اسم (الكتاب) مرتين: إحداهما عند تفسيره قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران:140] حيث قال: "أي: نُصرِّفُ ما فيها من النِّعَم والنِّقَم، نعطي هؤلاء تارةً، وطوراً لهؤلاء، كبيت الكتاب:

---

[1] تفسير النسفي 592/2، وينظر تفصيل رأي الزمخشري في: الكشاف 432/4.

[2] تفسير النسفي 257/2، ونجد هنا أنه نقل كلام الزمخشري بحرفيته. راجع: الكشاف 520/3.

[3] هو عَمرو بن عُثمان بن قَنْبَر، مولى بني الحارث بن كعب، أبو بِشْر الفارسي البصري، المُلقَّب "سِيْبَوَيْه" لفظ فارسي يعني رائحة التفاح، إمام النُّحاة، أخذ عن الخليل بن أحمد الفراهيدي ولازمه، وعن يونس بن حبيب وغيرهم، له: "الكتاب" في النحو ولم يدرِك شأوَه فيه أحد. انظر: أخبار النحويين البصريين 37، إنباه الرواة 346/2.

[4] ينظر على سبيل المثال: 31/1، 177/2، 144/3.

فيومـــاً علينـــا ويومـــاً لنـــا ويومـــاً نُسَـــاءُ ويومـــاً نُسَـــرُّ "[1].

والأخرى عند حديثه عن أصل لفظ ﴿مُزْدَجَرٌ﴾ [القمر: 4]: "تقول: زجرته، وازدجرته؛ أي: منعته. والأصل: ازتجر، ولكن التاء إذا وقعت بعد زاي ساكنة أبدلت دالاً؛ لأن التاء حرف مهموس، والزاي حرف مجهور، فأبدل من التاء حرف مجهور، وهو الدال ليتناسبا. وهذا في آخر كتاب سيبويه"[2].

ثالثاً/ من كتب معاني القرآن وإعرابه:

وقد كان الإمام النسفي كثير الاعتناء بهذا النوع من الكتب، حريصاً على تضمين تفسيره ما جاء فيها من فوائد نحوية وأعاريب، متصلة بالآيات القرآنية بصورة مباشرة بعيداً عن تفصيلات كتب النحو من تأصيل المسائل وذِكْر عِللها واختلافاتها... مما يخرج عن مقاصد التفسير.

معاني القرآن للفراء ت 207هـ[3]: ذكره ثمانية عشر مرة، ولم يرد ذِكْرٌ لاسم كتابه، فربما أخذ النسفي آراء الفراء من نقول العلماء عنه، وخاصة أنه من أرباب المذهب الكوفي، فهو يذكر آراءه عرَضاً. ومن هذه المواضع ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: 147]: "وقال الزجاج: قال غيرُ واحدٍ معناها: بل يزيدون، قال ذلك الفراء وأبو عبيدة"[4]. ورأي الفراء المتقدم موجود في معانيه عند حديثه عن معنى (أو): "وإن صلحتْ جعلوها على جهة (بل)؛ كقولك في الكلام: اذهبْ إلى فلانٍ أو دَعْ ذلك فلا تبرح اليوم. دَلّك هذا على أن الرجلَ قد رجع عن أمره الأوّل، وجعل (أو) في معنى (بل) ومنه

---

[1] تفسير النسفي 296/1، الكتاب 86/1، والبيت من المتقارب، للنمر بن تولب العكلي، وقد ذكره سيبويه بالرفع (فَيْومٌ عَلينا ويومٌ لنا ... ويومٌ نُسَاءُ ويومٌ نُسَرُّ)، وهو بالرفع أيضاً في ديوانه. ينظر: ديوان النمر بن تولب 65.

[2] تفسير النسفي 400/3، الكتاب 467/4-468.

[3] هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، مولى بني أسد، أبو زكريا الفرَّاء، إمام الكوفيين، حتى قيل: الفراء أمير المؤمنين في النحو، وكان يميل إلى الاعتزال، يحب الكلام. كان هو والأحمر من أشهر من أخذ عن الكسائي، وأخذ عن يونس بن حبيب البصري. قيل له الفرّاء: لأنه كان يَفْرِي الكلام، فهو لم يعمل بصناعة الفِراء. من كتبه: معاني القرآن، المذكر والمؤنث. ينظر: معجم الأدباء 2812/6-2815، بغية الوعاة 333/2.

[4] تفسير النسفي 137/3، معاني القرآن للزجاج 314/4. وأبو عُبيدة هو مَعْمَر بن المثنّى البصري ت 209 هـ، والنقل السابق عنه مذكور في كتابه في معاني القرآن المسمّى: "مجاز القرآن" 175/2.

قول الله: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾"[1]، وقال عند هذه الآية: "(أو) ها هنا في معنى (بل)"[2]

معاني القرآن للزجاج ت 311 هـ[3]: استفاد منه كثيراً في إبراز معاني الآيات وإعرابها وفي توجيه القراءات، فقد ذكر اسم الزجاج ونقل عنه قرابة المئة مرة، ومن ذلك المثال السابق في تحديد معنى (أو)، وما نقله من معنى (أن) في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللهِ لَآتٍ﴾ [العنكبوت: 5]: "وقال الزجاج: (مَنْ) للشرط، ويرتفع بالابتداء. وجواب الشرط ﴿فَإِنَّ أَجَلَ اللهِ لَآتٍ﴾"[4].

الكشف للباقُولي الضرير ت 543 هـ[5]: ويقصد به كتاب: (كشف المشكلات وإيضاح المعضلات). صرّح النسفي بالأخذ عنه في ثلاثة مواضع بذكر اسم كتابه (الكشف)[6]، وفي الباقي ذكر لقبه (جامع العلوم). من ذلك ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [البقرة: 96]: "قال في جامع العلوم وغيره: ﴿لَوْ يُعَمَّرُ﴾ بمعنى: أَنْ يُعمَّر. فـ (لو) هنا نائبة عن (أن)، و(أن) مع الفعل في تأويل المصدر، وهو مفعول ﴿يَوَدُّ﴾؛ أي: يودُّ أحدُهم تعميرَ ألفَ سنةٍ"[7].

---

[1] معاني القرآن للفراء 72/1.

[2] المرجع السابق 393/2.

[3] هو إبراهيم بن السَّري بن سَهْل أبو إسحاق الزَّجَّاج، كان يحترف خراطة الزجاج في أول حياته فلُقِّب بمهنته. عالم بالنحو واللغة، وكان بدايةَ طلبه للعلم عند ثعلب إمام النحو الكوفي، ولكنه ما لبث أن توجّه للأخذ عن المبرد إمام النحو البصري. وهو بغدادي يجري على مذهب البصريين، وفي بعض الأحيان يميل للكوفيين، وقد يتفرد برأي خاص. من كتبه: معاني القرآن وإعرابه، كتاب ما ينصرف وما لا ينصرف، ونُسِبَ له خطأً كتاب إعراب القرآن. ينظر: تاريخ بغداد 613/6-618، معجم الأدباء 51/1-63، بغية الوعاة 411/1-413.

[4] تفسير النسفي 665/2، وينظر: معاني القرآن للزجاج 161/4.

[5] هو عَليُّ بن الحسين بن عليّ أبو الحسن الأصبهاني الباقولي، يُلَقَّب بـ الجامع أو جامع العلوم. نـحْويٌّ أديب، من كتبه: شرح الجمل، وكتاب الكشف الذي نتحدث عنه (اختلفت المراجع في تحديد اسم هذا الكتاب، وقد رجّح محققه د.محمد الدالي الاسم الذي أَثْبتُه في المتن). ينظر: معجم الأدباء 1736/4، إنباه الرواة 247/2، بغية الوعاة 160/2، كشف المشكلات: مقدمة التحقيق: 94-97.

[6] ينظر: تفسير النسفي 214/1، 477/3، 642/3.

[7] تفسير النسفي 112/1، وينظر: كشف المشكلات 78/1. وينظر بقية المواضع في: تفسير النسفي 184/1، 430/1، 202/3، 279/3، ومجموعها خمسة مواضع.

التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري ت 616 هـ[1]: صرّح باسمه عند إعراب ﴿وَيْلَكُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [القصص: 80]: "وفي التبيان في إعراب القرآن: هو مفعول فعل محذوف؛ أي: ألزمكم اللهُ ويلكم"[2].

❁ ❁ ❁

المطلب الثاني: سمات طريقة النسفي في عرض المادة النحوية

لم يُفرد الأمام النسفي فقرة منفصلة لإعراب الآيات، ولم يلتزم ترتيباً معيناً لذلك، فتارةً نجده يشرح بعض المباني المتصلة بالآية ثم يذكر الإعراب، وتارةً أخرى يبدأ بالحديث عن إعراب بعض ألفاظها، ولكن طريقته في بيان المادة النحوية وترتيب الأعاريب التي يحتملها اللفظ والمفاضلة بينها اتصفت بسمات ميّزت هذا التفسير عن غيره؛ ومن أبرزها:

عنايته بإعراب الكثير من ألفاظ القرآن: لما في ذلك من تقريب لمعاني الآيات وأهمية في توضيحها، وهذا ما قد فعله قبله البغوي والزمخشري والبيضاوي، وهم في هذا يختلفون عن الطبري وابن الجوزي والقرطبي الذين قلت عنايتهم بهذا الأمر في تفاسيرهم[3]. فقال مثلاً عند سورة القارعة: "﴿القَارِعَةُ﴾ مبتدأ، ﴿مَا﴾ مبتدأ ثانٍ، ﴿القَارِعَةُ﴾ خبره. والجملة خبر المبتدأ الأول، وكان حقه: (ما هي)، وإنما كرر تفخيماً لشأنها"[4].

لم يكتفِ بذكر الإعراب الذي تقتضيه الصنعة النحوية بل أرفقه بالمعنى الذي سيق الكلام لأجله: واهتم بهذا عند إعراب الكلمات أو الجمل مما يساعد

---

[1] هو عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن الحسين، محب الدين أبو البقاء العُكْبَري البغدادي الأَزَجي الحنبلي. عالم بالعربية والفرائض والحساب والكلام والفقه. عَمِيَ في صباه بسبب الجدري. من كتبه: التبيان في إعراب القرآن، إعراب القراءات الشواذ، البُلْغَة في الفرائض. ينظر: معجم الأدباء 4/1515-1516، إنباه الرواة 2/116-118.

[2] تفسير النسفي 2/659، التبيان في إعراب القرآن 2/1026.

[3] ينظر: النسفي ومنهجه في التفسير: 151.

[4] تفسير النسفي 3/673.

في فهم الكلام وإدراك علاقته ببعضه. ومن أمثلة ذلك: قوله تعالى: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ [البقرة: 21]: "﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ صفة موضِّحة مميّزة؛ لأنهم كانوا يُسمّون الآلهة أرباباً"[1]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزمر: 27-28]: "﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ حال مؤكِّدة، كما تقول: جاءني زيدٌ رجلاً صالحاً، وإنساناً عاقلاً. فتذكرُ رجلاً وإنساناً توكيداً"[2]، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ [البقرة: 25]: "﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ جملة معترضة للتقرير، كقولك: فلانٌ أَحْسِنْ بفلانٍ ونِعْمَ ما فَعَلَ ورأى من الرأي كذا -وكان صواباً-"[3].

تنويعه في الإعراب تبعاً للمعنى الذي قدّره عند التوجيه النحوي: فقد لجأ إلى التحليل والاجتهاد عند تبيين المعنى المقدّر في إعرابه لألفاظ القرآن، فأبرز وجوهاً إعرابية جديدة تحتملها الآيات، وهذا فيه بيان وعرض لبلاغة القرآن فهو يؤدي معانٍ كثيرة بألفاظ قليلة، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [لقمان: 10]: "﴿تَرَوْنَهَا﴾ الضمير للسماوات، وهو استشهادٌ برؤيتهم لها غير معمودة على قوله: ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾. كما تقول لصاحبك: أنا بلا سيفٍ ولا رمحٍ، تراني. ولا محل لها من الإعراب؛ لأنها مستأنفة، أو: في محل الجر صفة لـ ﴿عَمَدٍ﴾؛ أي: بغير عمدٍ مرئيّة، يعني أنه عَمَدَها بعمدٍ لا تُرى، وهي إمساكها بقدرته"[4]. ولو اكتفى بقولهم: التقدير بغير عمدٍ كائنة ترونها، لَمَا ظهرت بلاغة معاني القرآن، ولَمَا ذكر الإعراب الآخر فيها.

استبعاده لبعض الأوجه الإعرابية لضعف المعنى الذي تحمله: فهو ينتقي من الأعاريب ما كان أبلغ معنى وأكثر اتساقاً مع النظم القرآني. ومثاله تركه للعطف وإن كان جائزاً لغة، لعدم إفادته من جهة المعنى، في قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللهُ

[1] تفسير النسفي 62/1.
[2] تفسير النسفي 178/3.
[3] تفسير النسفي 70/1. وهذا ما يسمى التذييل.
[4] تفسير النسفي 712/2-713.

إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ [النساء: 125]: "وهي جملة اعتراضية لا محل لها من الإعراب... وفائدتها [أي: معناها]: تأكيدُ وجوب اتِّباع ملّته وطريقته؛ لأن مَن بَلَغَ مِن الزُّلفى عند الله أن اتخذه خليلاً، كان جديراً بأن تتبع ملّته وطريقته. ولو جَعَلْتَها معطوفةً على الجُمَلِ قبلَها لم يكن لها معنى"[1].

استطراده في معرض كلامه عن إعراب كلمة إلى ذِكر قاعدة نحْويَّة تتعلَّق بها: تتمّة للفائدة، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ﴾ [البقرة: 21]: "و(يا): حرفٌ وُضِعَ لنداء البعيد –و(أي) و(الهمزة) للقريب– ثم استُعمِل في مناداة مَن غَفَلَ وسَها، وإن قَرُبَ ودنا، تنزيلاً له منزلةَ مَن بَعُد ونأى، فإذا نودي به القريب المُقاطن فذاك للتوكيد المؤذِن بأن الخطاب الذي يتلوه مُعتنى به جدّاً... و(أي): وصلةٌ إلى نداء ما فيه الألف واللام، كما أن (ذو) و(الذي) وصلتان إلى الوصف بأسماء الأجناس، ووصف المعارف بالجمل..."[2].

عدم اجتهاده في المجال النَّحْوي: والذي بدا لي بعد البحث في هذا التفسير، والقراءة فيما كُتِب عن منهجه، أن الإمام النسفي لم يتفرد بآراء نحوية خاصة تُنقَل عنه، وهذا ما توصّل له من قبل د. إبراهيم رفيدة حيث علّل ذلك بأنه قد يعود لطبيعة المرحلة التي عاش فيها النسفي؛ فقد امتازت بظهور أئمة من المفسرين غلب عليهم عدم التخصص في العربية بل الجمع بين ألوان من العلوم، فاعتمدوا في البحوث النحوية على ما قرّره علماء اللغة[3].

۞ ۞ ۞

المطلب الثالث: شواهده النحوية

دَرَجَ المفسرون عند تفسيرهم لآية معينة، على دعم ما يذكرونه من معانٍ ووجوه إعرابية وقراءات فيها، وذلك من باب ضم المثيل إلى مثيله، وإعطاء النظير حكم نظيره، مما يعطي الكلام قوة ومصداقية تَفْضُلُه على غيره، وعلى

---

[1] تفسير النسفي 399/1.

[2] تفسير النسفي 61/1-62.

[3] ينظر: النحو وكتب التفسير 883/2-1305.

هذا سار النسفي عند تعرضه لإعراب الآيات أو عند تعليله لكثير من الوجوه النحوية التي اختارها، وقد تنوعت الشواهد التي اعتمد عليها وفق الآتي:

أولاً/ الاستشهاد بالقرآن الكريم: يقوم الإمام النسفي بعد ذكر ما اختاره من إعراب للآية التي يتحدث عنها بالاستشهاد لها بآية أخرى، برز فيها الوجه النحوي نفسه، ليقوّي ما ذهب إليه ويوضّح الفكرة التي يتناولها. من ذلك: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: 130] فمن الوجوه التي ذكرها أن معنى ﴿سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ "سَفِه في نفسِه، فحذف (في)، كما حذف (من) في قوله: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾ [الأعراف: 155] أي: مِن قومِه، و(على) في قوله: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾ [البقرة: 235] أي: على عقدة النكاح"[1].

ثانياً/ الاستشهاد بالحديث الشريف: ونرى الأحاديث في هذا التفسير تأتي غالباً لتحديد المراد بلفظة ما أو لتوضيح معنى الآية أو بيان سبب نزولها، وقلما يستشهد بالحديث النبوي في مجال إعراب الآيات؛ ومن الأمثلة المعدودة في هذا: قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: 80] عند حديثه عن معنى الباء في قوله: ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا﴾ قال: "والباء للتعدية، ومنه قوله ﷺ: «سَبَقَكَ بها عُكَّاشَة»"[2].

ثالثاً/ الاستشهاد بلغات العرب: أي: إنه يعتمد في تصحيح الوجه النحوي الذي وردت به الآية الشريفة على أن ما أتت به قد وافق ما صحَّ من لغة العرب؛ مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ﴾ [النمل: 65] حيث أعرب النسفي ﴿مَنْ﴾ فاعل ﴿يَعْلَمُ﴾، و﴿الْغَيْبَ﴾ مفعوله، واسم الجلالة ﴿اللهُ﴾ جعله بدلاً مِن ﴿مَنْ﴾، والمعنى: لا يعلمُ أحدٌ الغيبَ إلا الله. وفي هذا إبدال المستثنى المنقطع وهو غير جائز؛ ولكن النسفي علل صحة هذا الإعراب بأنه محمول على لغة بني تميم في أنهم يُجرون الاستثناء المنقطع مَجرى

---

[1] تفسير النسفي 131/1.

[2] تفسير النسفي 583/1، والحديث جزء من حديث طويل عن ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب: مَن اكتوى أو كَوى غيره وفَضْلُ مَن لم يَكْتَوِ، رقم (5705)، 126/7.

الاستثناء المتصل، فيجيزون النصب والبدل في المنقطع كما في المتصل، ويقولون: ما في الدارِ أحدٌ إلا حمارٌ[1].

رابعاً/ الاستشهاد بالشعر: دعّم الإمام النسفي ما نقله من إعراب في كثير من الآيات بأبيات من الشعر، تشهد لصحة ما قرره من فوائد نحوية بنى عليها الإعراب. وهذا ظاهر جلي في تفسيره اتبع فيه من سبقه من المفسرين. وهو يلتزم بما التزم به اللغويون من حصر دائرة الاستشهاد بشعر القدامى فقط عند استشهاده للنحو، أما عند لغة الآية ومعناها يستشهد بشعر القدامى والمحدثين[2].

وأما طريقة عرضه للشعر: فقد ينسب البيت لصاحبه أو يُغفل ذكره، وقد يذكر البيت كاملاً أو يكتفي بالشطر الذي يحتوي موضع الشاهد؛ ومن أمثلة ذلك:

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ [النساء: 98] حيث أعرب جملة: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ صفة للمستضعفين، أو: للرجال والنساء والولدان. وعلل جواز وقوع الجملة النكرة وصفاً للمعرفة؛ لأن الموصوف (المعرفة) وإن كان فيه حرف التعريف، فليس بشيء بعينه، واستشهد على صحة هذا الإعراب بقول الشاعر:

ولقـدْ أمُـرُّ علـى اللَّئـيم يَسُـبُّنِي ... ... [3]

❁ ❁ ❁

المطلب الرابع: مذهب النسفي النحوي

نتحدث هنا عن موقف الإمام النسفي من المسائل الخلافية بين البصريين والكوفيين، حيث نجده ينتمي للمذهب البصري ويرجّحه على غيره، ويبرز هذه من خلال:

---

[1] ينظر: تفسير النسفي 616/2-617، الكتاب لسيبويه 319/2.

[2] ينظر: النسفي ومنهجه في التفسير: 162.

[3] ينظر: تفسير النسفي 389/1، وهذا صدر بيت من البحر الكامل، لرجل من بني سلولٍ مولدٍ، وعجزه: (فمضَيْتُ ثُمَّتَ قُلتُ: لا يَعنيني). والشاهد في هذا البيت: اللئيم يسبني. فكلمة (اللئيم) التعريف فيها غير مقصود بل هو لفظي فقط، فتعريف (أل) الجنسية هنا لفظي لا يفيد التعيين، وجملة (يسبني) وصف اللئيم في المعنى، وحال منه باعتبار اللفظ، والوصف أظهر للمقصود. ينظر: الكتاب لسيبويه 24/3، خزانة الأدب 357/1.

تضعيفه لرأي الكوفيين في مواضع عديدة من تفسيره، من ذلك: ما قاله في مسألة العطف على الضمير المخفوض، عند قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: 1]: "﴿وَالْأَرْحَامِ﴾ ... أو بالجر، حمزة، على عطف الظاهر على الضمير، وهو ضعيف؛ لأن الضمير المتصل كاسمه متصل، والجار والمجرور كشيء واحد، فأشبه العطف على بعض الكلمة"[1]. حيث ذهب الكوفيون إلى جواز العطف على الضمير المخفوض، واستشهدوا بقراءة حمزة الزيات السابقة، أما البصريون فمنعوا ذلك[2].

تصريحه بأن الرأي الذي يذكره هو قول البصريين، دون أن يعلّق عليه أو أن يذكر رأياً آخر معه، مما يدل على أنه معتمدٌ لمذهبهم. وجاء ذلك في مواضع عديدة من تفسيره، منها قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [القصص: 82]: "﴿وَيْ﴾ منفصلة عن ﴿كَأَنَّ﴾ عند البصريين، قال سيبويه: (وَيْ) كلمة تنبيهٍ على الخطأ وتندُّمٍ، يستعملها النادم بإظهار ندامته. يعني: أن القوم قد تنبّهوا على خطئهم في تمنيهم وقولهم: ﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ﴾ وتندّموا... ﴿وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ أي: تندّموا، ثم قالوا: إنه لا يفلح الكافرون"[3]. أما عند الكوفيين –وصرّح بهذا إمامهم الكسائي– (وَيْكَ) مفصولة من (أنَّ)، وأصلها: ويلك (ألم تعلم أن) وحذفت اللام تخفيفاً، والمعنى: ألم تعلم بأنه لا يفلح الكافرون[4].

اختياره لمبدأ البصريين في كثير من المسائل الخلافية، دون نسبة القول إليهم، أو الإشارة إلى رأي غيرهم. من ذلك تفصيل لوجهة نظر الكوفيين في اشتقاق (الاسم) عند قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: 1]: "والاسم من الأسماء التي بنوا أوائلها على السكون كالابن والابنة وغيرهما... وهو من الأسماء

---

[1] تفسير النسفي 327/1.

[2] ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف 379/2–387، شرح التصريح 183/2.

[3] تفسير النسفي 600/2، وينظر: الكتاب لسيبويه 154/2. و(كأن) عنده لا يراد بها التشبيه بل القطع واليقين.

[4] ينظر: معاني القرآن للكسائي 210، الكشاف 528/4، شرح المفصل 90/3–92، شرح التصريح 283/2–284.

المحذوفة الأعجاز، كـ (يد) و(دم)، وأصله: (سمو) بدليل تصريفه كـ أسماء، وسمى، وسميت. واشتقاقه من السمو، وهو الرفعة؛ لأن التسمية تنويه بالمسمى، وإشادة بذكره"[1]. أما الكوفيون فقد قالوا: (الاسم) مشتق من (الوسْمِ) وهو العلامة، لأن الاسم علامة على المسمّى يُعرف بها[2].

وفي مسألة وقوع الفعل الماضي حالاً من قوله تعالى: ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾ [النساء: 90] أخذ ما قاله البصريون فقال: "﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ حالٌ بإضمار (قد)"[3]. وذلك لأن البصريين لا يُجوِّزون وقوع الماضي حالاً، إلا بأحد أمرين: إذا كانت معه (قد)، أو إذا كان وصفاً لمحذوف. وذهب الكوفيون إلى أن الفعل الماضي يجوز أن يقع حالاً، وإليه ذهب أبو الحسن الأخفش من البصريين، وتقديره هنا: حَصِرَةً صدورُهم[4].

تقديمه للمذهب البصري على غيره صراحةً، ونجد هذا عند شرحه لمعنى: (مهما) من قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ﴾ [الأعراف: 132]: حيث اقتصر على قول البصريين فيها دون الإشارة إلى الوجوه الأخرى، وهو أن أصلها: (ما ما)، و(ما) الأولى للجزاء، والثانية مزيدة مؤكدة للجزاء... ثم قُلِبَتْ ألف (ما) الأولى هاءً لاستثقال تكرير المتجانسين، وقال بعدها: "وهو المذهب السديد البصري"[5]؛ وكأنه يعلل اكتفاءه بنقل رأي نحْوي واحد في مسألة خلافية بأنه اكتفى بالراجح عنده.

نصرته لمذهب سيبويه إذا تعارض مع غيره، وتفضيله لرأيه على غيره من البصريين: وظهر هذا في مواضع منها ردّه لرأي أبي الحسن الأخفش الأوسط لمعارضته لقول سيبويه، وذلك عند قوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

---

[1] تفسير النسفي 27/1.

[2] ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف 8/1-16، شرح المفصل 83/1، شرح التصريح 683/2.

[3] تفسير النسفي 383/1.

[4] ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف 205/1-209، شرح المفصل 28/2.

[5] تفسير النسفي 597/1. وينظر الاختلاف في أصل (مهما) في: شرح المفصل 408/2.

[الأنعام: 12]: "﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ نصبٌ على الذم؛ أي: أريد الذين خسروا أنفسهم باختيارهم الكفر ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. وقال الأخفش: ﴿الَّذِينَ﴾ بدلٌ من (كُمْ) في ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ أي: ليجمعنّ هؤلاء المشركين الذين خسروا أنفسهم. والوجه هو الأول؛ لأن سيبويه قال: لا يجوز: مررت بي المسكين، ولا بك المسكين، فتجعل المسكين بدلاً من الياء، أو الكاف؛ لأنهما في غاية الوضوح، فلا يحتاجان إلى البدل والتفسير"[1].

❁ ❁ ❁

المطلب الخامس: مصطلحاته النحوية

أولاً/ المصطلحات النحوية التي استخدمها النسفي:

مصطلحات بصرية خالصة: يعتبَر النسفي من أرباب المذهب البصري لذلك فقد استعمل مصطلحات خاصة بالمذهب البصري، تُعبّر عن معانٍ لم يعرفها الكوفيون أو أنكروها ومنها:

– لام الابتداء، والكوفيون ينكرون لام الابتداء، فهي عندهم لام القسم، ومثالها قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ﴾ [يوسف: 90]: "﴿لَأَنْتَ يُوسُفُ﴾ اللام لام الابتداء، و﴿أَنْتَ﴾ مبتدأ، و﴿يُوسُفُ﴾ خبره، والجملة: خبر إنّ"[2].

– اسم الفعل، فقد أنكره الكوفيون البتة، وجعلوه من باب الفعل، ومثاله قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [المائدة: 105]: "انتصب ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾ بـ ﴿عَلَيْكُمْ﴾، وهو من أسماء الأفعال؛ أي: الزموا إصلاح أنفسكم. والكاف والميم في ﴿عَلَيْكُمْ﴾ في موضع جر، لأن اسم الفعل هو الجار والمجرور لا (على) وحدها"[3].

مصطلحات بصرية اصطلح عليها الكوفيون بأسماء أخرى: وهذا النوع هو الأكثر شيوعاً في تفسير النسفي، ومنها:

---

[1] تفسير النسفي 493/1، وينظر: الكتاب لسيبويه 76/2–77.

[2] تفسير النسفي 131/2. وينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف 330/1.

[3] تفسير النسفي 480/1، وينظر: شرح الأشموني لألفية ابن مالك 91/3.

– ضمير الفصل: ويسميه الكوفيون العماد، وهو الذي يُفَرّق به بين الصفة والخبر، مثاله قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: 5]: "﴿هُمُ﴾ فصل، وفائدته: الدلالة على أن الوارد بعده خبر لا صفة، والتوكيد، وإيجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره"[1].

– ضمير الشأن أو القصة: ويسميه الكوفيون المجهول، وهو ضمير يتقدم الجملة كناية عنها، وتكون الجملة خبراً وتفسيراً له، مثاله قوله تعالى: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ [الكهف: 38]: "وأصله: لكن أنا... ﴿هُوَ﴾ ضمير الشأن، والشأن ﴿اللَّهُ رَبِّي﴾، والجملة خبر (أنا)، والراجع منها إليه ياء الضمير"[2].

– التمييز: ويسميه الكوفيون التفسير والمفسِّر، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة: 138]: ﴿صِبْغَةً﴾ "تمييز؛ أي: لا صبغةَ أحسن من صبغته، يريد الدِّين أو التطهير"[3].

مصطلحات كوفية اصطلح عليها البصريون بأسماء أخرى: وهذه المصطلحات قليلة جداً في تفسير النسفي، ومنها:

– النعت: ويسميه البصريون الصفة، ومثاله قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾ [التحريم: 6]: "﴿لَا يَعْصُونَ﴾ في موضع الرفع على النعت"[4].

ثانياً/ منهج النسفي في استخدام المصطلحات النحوية:

تغليب مصطلحات البصريين، مع وجود نزر يسير من مصطلحات الكوفيين.

الجمع بين المصطلح البصري والمصطلح الكوفي في الوجه الواحد من الإعراب: كما فعل عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 8]: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ "دخلت الباء في خبر ما مؤكدة للنفي؛ لأنه

[1] تفسير النسفي 43/1، وينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف 579/2.

[2] تفسير النسفي 301/2، وينظر: شرح المفصل لابن يعيش 334/2–335.

[3] تفسير النسفي 134/1، وينظر: همع الهوامع 336/2.

[4] تفسير النسفي 506/3، وينظر: همع الهوامع 145/3.

يَستدل به السامعُ على الجحد إذا غَفِل عن أول الكلام"[1].

الجمع بين المصطلح وما يعبّر عنه المصطلح في الوجه الواحد من الإعراب: ومثاله قوله تعالى: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [البقرة: 90]: "﴿بَغْيًا﴾ مفعول له؛ أي: حسداً وطلباً لِمَا ليس لهم، وهو علة ﴿اشْتَرَوْا﴾"[2].

❁ ❁ ❁

النتائج

وبعد هذه الجولة المباركة في رحاب تفسير الإمام النسفي، خرج البحث بالنتائج التالية:

- تفسير الإمام النسفي ليس مطبوعاً بطابع الكشاف للزمخشري، فقد أشار النسفي إلى خطأ بعض آراء الزمخشري إما صراحةً أو ضمناً.
- يهتم الإمام النسفي بالمعنى عند إعرابه للقرآن الكريم، ويرجّح بين الوجوه الإعرابية التي يحتملها لفظ الآية بحسب المعنى الذي يفيده، وكلما كان أكثر توافقاً مع النظم القرآني وأغراضه كان أَوْلى عنده.
- إن الآية الواحدة من القرآن الكريم قد يكون لها أعاريب كثيرة، والأسباب في ذلك عديدة، منها: اختلاف التقدير، فقد تحتمل الآية تقديرات مختلفة في آن معاً وعلى كل تقدير يكون لدينا وجه إعرابي مختلف.
- لم يعتمد النسفي على الاستشهاد بالأحاديث عند سرده للأوجه النحوية في تفسيره، فهو لا يميل إلى الاحتجاج به في إثباتها.
- ويظهر لنا واضحاً انتماء النسفي إلى المذهب البصري في التأصيل والتطبيق.

---

[1] تفسير النسفي 48/1، وهنا جمع بين (النفي) وهو مصطلح بصري، ومقابله عند الكوفيين وهو (الجحد). ينظر: مدرسة الكوفة 309.

[2] تفسير النسفي 109/1. وهذا مأخوذ من تعريف النُّحَاة للمفعول له بأنه: عِلَّةُ الإقدامِ على الفعل ووقوعه؛ أي: السببُ والداعي لوجود الفعل. ينظر: شرح المفصل 449/1، همع الهوامع 94/2.

- القرآن الكريم نزل بلسان العرب، وطلبُ فهمِه من دون تحصيل علوم العربية هو مزلة للأقدام، ومن أهم علومها علم النحو، فالجهل به يفضي إلى الفهم السيء، وعامة ضلال أهل البدع جاء من ضعفهم في اللغة العربية.

والحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

ابن الحاجب، أبو عمرو عثمان بن عمر (2005). الإيضاح في شرح المفصل، تحقيق: أ.د. إبراهيم محمد عبد الله، دار سعد الدين، طدمشق، ط1، 2005م.

ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (2000). المحكم والمحيط الأعظم، ط الأولى، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ابن عبدالله، مصطفى (المشهور بحاجي خليفة) (2010). سلم الوصول إلى طبقات الفحول، تحقيق: محمود عبد القادرالأرناؤوط وآخرون، مكتبة إرسيكا، إستانبول، تركيا.

ابن عبدالله، مصطفى (حاجي خليفة) (1941). كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى، بغداد، العراق.

ابن عثمان، أبو بشر عمرو (سيبويه) (1988). الكتاب، ط الثالثة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

ابن علي، أبو البقاء يعيش (ابن يعيش) (ابن الصانع) (2001). شرح المفصل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ابن كمال باشا، أحمد بن سليمان (1397 ه). الفلاح شرح المراح، تحقيق: سندن اعطا بيوريلان، مطبعة صاحبي أسعد أفندي.

ابن محمد، أبوالفيض محمد (الملقب بمرتضى الزبيدي) (د.ت). تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، الرياض، السعودية.

ابن مصطفى، أحمد (طاش كبري زاده) (1985). مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، ط الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الأدنه وي، أخمد بن محمد (1997). طبقات المفسرين، ط الأولى، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، السعودية.

الأزهري، أبومنصور محمد بن أحمد (2001). تهذيب اللغة، ط الأولى، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

الأزهري، خالد بن عبد الله (2000). شرح التصريح على التوضيح، ط الأولى، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الأشموني، أبو الحسن علي بن محمد نور الدين (1998). شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ط الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الإفريقي، أبو الفضل محمد بن مكرم جمال الدين ابن منظور (1414 هـ). لسان العرب، ط الثالثة، دار صادر، بيروت، لبنان.

الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد كمال الدين (2003). الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، ط الأولى، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

الأندلسي، أبوحيان محمد بن يوسف (1993). البحر المحيط في التفسير، ط الأولى، تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الباقولي، أبو الحسن علي بن الحسين جامع العلوم (1994). كشف المشكلات وإيضاح المعضلات، تحقيق: د. محمد أحمد الدالي، من مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، سوريا.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (1422 هـ). صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسُننه وأيامه)، ط الأولى، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان.

البغدادي، أبوبكر أحمد بن علي الخطيب (2001). تاريخ بغداد، ط الأولى، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

البغدادي، إسماعيل بن محمد أمين (د.ت). هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

البغدادي، عبدالقادر بن عمر (1997). خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ط الرابعة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

التَّيْمِيّ، أبو عُبَيْدة مَعْمَر بن المُثَنَّى (1381 هـ). مجاز القرآن، تحقيق: د. محمد فؤاد سَزْكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (1987). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ط الرابعة، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطا، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (1993). معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة

الأديب)، ط الأولى، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله شهاب الدين (1995). معجم البلدان، ط الثانية، دار صادر، بيروت، لبنان.

الحِميري، أبوعبدالله محمد بن عبدالله (1980). الروض المعطار في خبر الأقطار، ط الثانية، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، لبنان.

الحنفي، أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الظاهري (د.ت). المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تحقيق: د. محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر.

الحنفي، أبومحمد عبدالقادر بن محمد محيي الدين (د.ت). الجواهر المضية في طبقات الحنفية، مير محمد كتبخانة، كراتشي، باكستان.

الخضري، محمد بن مصطفى بن حسن (د.ت). حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، دار الفكر، بيروت، لبنان.

الذهبي، محمد السيد حسين (د.ت). التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر.

الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري (1988). معاني القرآن وإعرابه، ط الأولى، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، لبنان.

الزركلي، خير الدين بن محمود (202). الأعلام، ط الخامسة عشرة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر جار الله (1998). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط الأولى، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية.

السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله (1955). أخبار النحويين البصريين، تحقيق: طه محمد الزيني، محمد عبد المنعم خفاجي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، مصر.

السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين (1964). بُغية الوُعاة في طبقات اللغويين والنُّحَاة، ط الأولى، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، مصر.

السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين (د.ت). همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة الوقفية، القاهرة، مصر.

العسقلاني، أبوالفضل أحمد بن علي بن حجر (1972). الدرر الكامنة في أعلام المئة الثامنة، ط الثانية، تحقيق: محمد عبد المعين ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند.

العكبري، أبوالبقاء عبدالله بن الحسين (1976). التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي،

مطبعة عيسى الحلبي وشركاه، القاهرة، مصر.

العَكريّ، أبو الفلاح عبد الحيّ بن أحمد بن محمد (ابن عماد) (1991). شَذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط الأولى، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت.

الفاكهي، عبدالله بن أحمد (1993). شرح كتاب الحدود في النحو، ط الثانية، تحقيق: د. المتولي رمضان أحمد الدميري، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر.

الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد (د.ت). معاني القرآن، ط الأولى، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي وآخرون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، مصر.

الفيروزآبادي، أبو طاهر محمد بن يعقوب (2005). القاموس المحيط، ط الثامنة، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

القزويني، أبوالحسين أحمد بن فارس (1979). مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان.

القفطي، أبو الحسن علي بن يوسف (1986). إنباه الرُّواة على أنباه النُحَاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.

الكسائي، أبو الحسن علي بن حمزة (1998). معاني القرآن، تحقيق: د. عيسى شحاته عيسى، دار قباء، القاهرة، مصر.

الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني (1998). الكُلِيَّات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، ط الثانية، تحقيق: د. عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

المخزومي، مهدي (1958). مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغو والنحو، ط الثانية، شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، مصر.

الموصلي، أبو الفتح عثمانبن جني (د.ت). الخصائص، ط الرابعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر.

النسفي، أبوالبركات عبدالله بن أحمد (1998). تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، تحقيق: يوسف علي بديوي، و محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، لبنان.

الهندي، أبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي (1324 هـ). الفوائد البهية في تراجم الحنفية، ط الأولى، تحقيق: محمد بدر الدين النعساني، مطبعة السعادة، مصر.

بدرالدين، أميمية (1990). النسفي ومنهجه في التفسير، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، دمشق، سوريا.

بدوي، عبدالرحمن (1977). مناهج البحث العلمي، ط الثالثة، وكالة المطبوعات، الكويت.

رفيدة، إبراهيم عبدالله (1990). النحو وكتب التفسير، ط الثالثة، الدار الجماهيرية، طرابلس، ليبيا.

سركيس، يوسف (1928). معجم المطبوعات العربية والمعربة، مطبعة سركيس، مصر.

طريفي، محمد نبيل (2000). ديوان النمر بن تولب العُكْلِي، ط الأولى، دار صادر، بيروت، لبنان.

عليان، ربحي مصطفى (د.ت). البحث العلمي (أسسه، مناهجه وأساليبه، إجراءاته)، بيت الأفكار الدولية، عَمّان، الرياض.

غربال، محمد شفيق (د.ت). الموسوعة العربية الميسرة، إعداد: مجموعة من الباحثين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

قطلوبغا، أبوالفداء قاسم (1992). تاج التراجم، ط الأولى، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار القلم، دمشق، سوريا.

كردية، سحر محمد فهمي (2001). منهج الإمام النسفي في القراءات، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.

Al-Nasafi's Method in Grammar in his Interpretation of Holy Quran

"An Analytical Descriptive Study"

Abstract

The current study aims at examining grammatical style that Imam al-Nasafi follows in his interpretation "Madarik al-Tanzil wa Haqaiq al-Tawil". Also, the study sheds light on the role of syntax in Quranic verses interpretation. The descriptive and analytical approaches were used to conduct this study. The results found that Imam al-Nasafi concerns with the meaning of the Quranic verses through syntactic analysis of the Holy Quran. In addition, Imam al-Nasafi follows Basri doctrine in terms of the internalization and application. Moreover, what leads the heretics astray is their weaknesses in Arabic language.

Keywords: al-Nasafi, Grammatical style, al-Nasafi's interpretation.